مقدمة الجزء السابع

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

ما هو غير مرئي ، وغير معلن ، ومُستبعد من العالم من حولنا ، يُعبّر بوضوح تام عمّا هو مهم في المجتمع ومن هو مهم . العرق ، والإثنية ، والإعاقة الجسدية ، والتوجه الجنسي ، والثروة ، والوزن ، والعمر، والجنس ، ليست سوى بعض الطرق التي تُميّز بها المجتمعات ، وفي كثير من الأحيان تُميّز، بين أعضائها . يعد العديد من **جغرافيي الثقافة اليوم أعمالهم نقدية** بطريقة ما . بعبارة أخرى ، تُعنى هذه الأعمال بالظلم وكيفية تجلّيه مكانيًا ، وتعزيزه ، والطعن فيه . قد تُقدّم الدراسات النقدية أيضًا استراتيجيات للباحثين ، وصانعي السياسات ، أو النشطاء للمساعدة في معالجة هذه المظالم . ولأنّ تصورات الاختلاف الثقافي غالبًا ما تُترجم إلى أنواع مُتنوّعة من الظلم ، فإنّ جغرافية الثقافة النقدية تُغطّي مجموعة واسعة من مواضيع البحث المُحتملة .

وبالتالي ، فإنّ العديد من الاختيارات في أجزاء أخرى من هذا الكتاب تتناول الاختلاف أيضًا . لقد ناقشنا مزايا تضمين جزء منفصل عن الاختلاف أصلاً ، نظرًا لأن العديد من جغرافيي الثقافة المعاصرين قد أدرجوا في أعمالهم الاهتمام بالاختلاف بأشكاله المتعددة . في النهاية ، قررنا تضمين جزء منفصل عن الاختلاف . على الرغم من أن اليوم الذي لم يعد فيه من الضروري التأكيد على أهمية الاهتمام بالاختلاف قد اقترب ، إلا أن البعض ما يزال غير متأكد من القيمة الحقيقية للتركيز على ، على سبيل المثال ، النوع الاجتماعي أو التوجه الجنسي أو العرق . في الواقع ، من المفيد تذكير أنفسنا بمدى حداثة عد العمل في هذه المجالات هامشيًا ، وغالبًا ما يمر دون تمويل أو نشر، بل ويُنظر إليه على أنه تهديد .

يرتبط الاختلاف بأشكاله المتعددة ، والمتقاطعة في كثير من الأحيان ، ارتباطًا وثيقًا بقضايا الوصول . بصفتنا جغرافيي الثقافة ، يمكننا أن نفكر في الوصول بطريقتين مترابطتين على الأقل . أولًا، يمكن فهم الوصول حرفيًا ، بالإشارة إلى السهولة المادية للتنقل في المكان ، أو العوائق التي تعترضه . لا شك أنك تدرك - إما من خلال تجربة شخصية أو من خلال تجارب الأصدقاء أو أفراد العائلة - أن كونك فوق الوزن المتوسط ، أو مثليًا جنسيًا معلنًا ، أو فقيرًا ، أو أنثى ، أو كبيرًا جدًا في السن أو صغيرًا جدًا ، أو غير أبيض ، أو استخدام كرسي متحرك ، يحد من قدرتك على الذهاب بالمعنى المكاني الحقيقي . قد لا تتسع لك مقاعد الدرجة السياحية في طائرات الخطوط الجوية بشكل مريح . قد تُوجه إليك إهانات مثل "شاذ" أو "مثلي" في الأماكن العامة ، مما يجعلك غير مرتاح أو خائف لدرجة أنك تختار المغادرة .

قد لا تتمكن من تحمل السعر الحرفي للدخول إلى الأماكن الخاصة ، مثل النوادي ؛ أو "السعر" المجازي للدخول إلى الأماكن التي تبدو عامة ولكنها في الواقع ليست كذلك - مثل مراكز التسوق - إذا كنت فقيرًا ، أو ببساطة تبدو كذلك . إذا كنت أسود ، فقد يلاحقك حراس الأمن في ذلك المركز التجاري ؛ إذا كنت تبدو عربيًا ، فقد يتم إيقافك وتفتيشك في كل مرة تسافر فيها بالطائرة ؛ إذا بدا لك أنك لاتيني ، فقد يُفترض أنك مهاجر ويُطلب منك توثيق قانونية وجودك مرارًا وتكرارًا : **كل هذا الاحتجاز والتفتيش بناءً على افتراضات تتعلق بملامحك أو لهجتك أو اسمك** . ربما تعرضت أنت أو والدتك أو أختك لصيحات استهجان من رجال في الشارع ، أو تحسس في مترو الأنفاق ، أو حتى لاعتداء جنسي . ربما استخدمت عكازات بعد السقوط . إن الحاجة إلى تخطيط مسارات سفر مُعقدة حول منحدرات غير مُستخدمة ومصاعد معطلة تُبرز الصعوبات التي يواجهها أولئك الذين تُقيد حركتهم يوميًا بسبب تحدٍّ جسدي .

في جميع هذه الحالات ، غالبًا ما تُشكل هذه الحواجز الحقيقية خيارات مكان وزمان التنقل في المكان ، مما يجعل بعض الناس يشعرون حرفيًا بأنهم في غير مكانهم . يرتبط الوصول إلى الفوائد الرمزية ، ولكن التي لا تقل أهمية ، للانتماء الثقافي ، ارتباطًا وثيقًا بمسألة الوصول المادي . قد تشمل هذه الفوائد الوظائف والترقيات والزيادات ؛ من انتخابك لمنصب عام أو حتى الحق في التصويت ؛ أو اختيار من يمكنك مواعدته ، أو ما إذا كان بإمكانك تبني أطفال أو الزواج . في الواقع ، هناك مجموعة كاملة من "المزايا" الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي تُحظر على فئات معينة من الأشخاص الذين يُعدون مختلفين ، وهامشيين ، وبالتالي لا يستحقون فوائد الانتماء الثقافي . في الولايات المتحدة ، تُمثل كفاح العديد من المثليات والمثليين جنسياً لتوسيع نطاق المزايا الصحية المتعلقة بالعمل لتشمل شركائهم المنزليين رمزًا لهذه الاستثناءات ؛ في حين أن الجدل حول غطاء الرأس للنساء المسلمات في المدارس العامة الفرنسية - وهو جدل يدور إلى حد كبير حول مسألة السماح بالاختلافات المرئية في الأماكن العامة (تمت مناقشته في مقدمة الكتاب) - يتناول أيضًا قضايا الاختلاف والإقصاء .

لماذا تُفرّق معظم المجتمعات ، إن لم يكن كلها ، بشكل حاد بين من يُعد طبيعيًا ومن يُعد مختلفًا ؟ جميع المقالات في هذا القسم تتناول هذا السؤال ؛ على وجه الخصوص ، تُعالج مختارات إدوارد سعيد وديفيد سيبلي هذه المسألة بأكثر الطرق شمولاً . يُطوّر سعيد مفهوم **الاستشراق** ، الذي يُعرّفه بأنه الممارسة الغربية الراسخة في تعريف الشرق (أو المشرق ، مع أن سعيد يُركّز بشكل خاص على جنوب غرب آسيا / شمال إفريقيا المسلمة) على أنه مختلف جذريًا عن الغرب المسيحي من جميع النواحي ذات المعنى . يستخدم سيبلي نظرية العلاقات الموضوعية ، المُستمدة من نظرية التحليل النفسي ، ليُشير إلى **أننا ، كأفراد ومجتمعات ، نُرسّخ هويتنا من خلال عملية إقصاء ، من خلال تحديد ثم تهميش من نُحدّد أنهم مختلفون عنا مكانيًا .**

على الرغم من أنهما يتخذان مسارات فكرية مختلفة للقيام بذلك ، فإن كلاً من سعيد وسيبلي يصف الآخر. يُستخدم مفهوم الآخر مع نظيره ، الذات ، للوصول إلى **ثنائية الذات والآخر**، والتي تُمثّل ، بالنسبة للعديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية ، **أساس تكوين الهوية** . إن جوهر ترسيخ الشعور الراسخ بالذات هو ما قد يبدو للوهلة الأولى عمليةً متخلفةً نوعًا ما ، وهي ترسيخ شعورٍ راسخٍ بما ليست عليه الذات : أي تحديد من هو الآخر . تُعد هذه المفاهيم جوهريةً لدراسات ما بعد الاستعمار، التي تعتمد إلى حدٍ كبير على الأعمال التأسيسية التي قام بها باحثون من بلدانٍ استُعمرت سابقًا - مثل إدوارد سعيد - الذين يستكشفون كيف انقلب تشكيل الهوية الغربية في كثير من الأحيان بعنفٍ على ترسيخ الآخر، وتهميشه لاحقًا .

بالنسبة للجغرافيين ، لهذا الأمر أبعادٌ مكانيةٌ مهمة . خذ على سبيل المثال ممارسة تحديد حدود الدولة ومراقبتها والدفاع عنها . لماذا يُعدّ هذا الأمر بالغ الأهمية ؟ لماذا تكون الدول دفاعيةً للغاية عندما تُهدد هذه الحدود من قِبل الغرباء ، سواءً من خلال العدوان العسكري أو الهجرة ؟ تناول جغرافيو الثقافة هذه الأسئلة بطرقٍ متنوعة (ينظر، على سبيل المثال ، الجزء الخامس) . فيما يتعلق بمسألة الاختلاف ، تُرسي الحدود الوطنية حدًا مكانيًا بين "نحن" (المواطنين المنتمين) و"هم" (الغرباء ، أو البرابرة ، المختلفين عنا) . في الواقع ، يُعدّ تحديد الآخر "هناك" خطوةً أساسيةً نحو بناء "نحن" موجود هنا ، وعلى النقيض من آخرنا المهمّش والمستبعد . عندما تُتحدّى الحدود السياسية ، فإن ذلك يُمثّل تحديًا للوحدة الوطنية ، التي تعتمد على الحفاظ على التماثل من خلال استيعاب الغرباء ، أو منعهم من الدخول في المقام الأول . وكما تُوضّح العديد من الاختيارات ، يُمكن توسيع نطاق التحليل لدراسة حدود الذات / الآخر في المدن والمدارس ، وحتى لتصور الجسد نفسه كنوع من الحدود .

لم يُعنَ بالاختلاف ، كتخصص ، إلا مؤخرًا نسبيًا . ففي سبعينيات القرن الماضي ، على سبيل المثال ، اهتم الجغرافيون الماركسيون بالطبقة الاجتماعية والاقتصادية كجانب مهم ، وإن كان غالبًا ما يُغفل ، من

جوانب الإدماج والاستبعاد المجتمعيين . كانت هذه المنح الدراسية غالبًا جذرية في جوهرها ، مما يعني أن التغيير الاجتماعي الثوري طُرح كأفضل طريقة لمعالجة عدم المساواة الطبقية . في أوائل الثمانينيات (مع بعض الأعمال المعزولة في السبعينيات أيضًا) ، بدأ بعض الجغرافيين البشريين في استكشاف الاختلاف من خلال النوع الاجتماعي . وقد استخدم بعض أوائل هذه الأعمال إطارًا اشتراكيًا نسويًا ، مجادلين بأن اضطهاد المرأة كان مشابهًا في بعض النواحي لاضطهاد الطبقة العاملة ، ولكن التركيز على المجال الخاص للمنزل ، بالإضافة إلى المجال العام لمكان العمل ، كان ضروريًا لفهم تبعية المرأة في المجتمع الرأسمالي فهمًا كاملًا . **أصبح مفهوم النظام الأبوي ، أو الهيمنة الذكورية المنهجية على النساء ، عدسة تحليلية مهمة لجغرافيي الثقافة الذين يدرسون الفروق بين الجنسين** . وقد جادل مقال مونك وهانسون ، المدرج هنا ، بأن إغفال تجارب ووجهات نظر نصف البشرية - النساء - قد أدى إلى ضعف مخزون المعرفة الجغرافية . على الرغم من أنهما يفترضان أن : إن إشراك الممارسين ووجهات نظر النساء سيوفر طريقةً لمعالجة التحيز الذكوري (الموجه للذكور) في الجغرافيا السائدة - وهو منظور ليبرالي - فهم يدركون تمامًا أنه نظرًا لعمق التمييز بين الجنسين في الجغرافيا ، يجب أن يحدث تحول أكثر جذرية . منذ هذه الغزوات المبكرة للجغرافيين في مجال الاختلاف ، أصبحت جغرافيا الثقافة النقدية أكثر دقة في مقاربتها . فيما يتعلق بالجنس ، تجاوز جغرافيو الثقافة المعاصرون إلى حد كبير المفهوم الشامل للنظام الأبوي والتمييزات الثنائية بين الذكور والإناث والقطاعين العام والخاص ، وركزوا بدلاً من ذلك على مجموعة غنية من الموضوعات التاريخية والمكانية المحددة ، والتي تتراوح بين الجندر كأداء ، والجندر والدولة القومية ، والبناءات الجندرية للمنزل ، والتجسيد ، والذكورة .

لقد تحول جغرافيو النسوية عمومًا عن التركيز على أوجه عدم المساواة المادية بين الرجال والنساء - على الرغم من وجود اعتراف واسع النطاق بأن توثيق هذه التفاوتات ما يزال مسعىً حاسمًا - ونحو فهم مستنير نظريًا للهوية والتجسيد والجنسانية . وقد أكدت ما يسمى بنسويات العالم الثالث على أهمية المكان والسلطة والتاريخ في فهم الجغرافيين للتفاوض والأداء ومقاومة الذاتيات الجندرية . وقد أدخل هؤلاء الباحثون ، وغيرهم - على سبيل المثال أولئك الذين يعملون في دراسات الحدود ، ودراسات أفريقيا والعالم الجديد ، والدراسات الأمريكية ، والدراسات القانونية - في النقاش اعتبارات الاختلاف العنصري . كما أثرت ما بعد الحداثة ، بإصرارها على عدم استقرار اللغة ، وتركيزها على الرمز والتمثيل ، على الجغرافيات الثقافية للاختلاف .

أخيرًا ، لطالما امتلك جغرافيو الثقافة العاملون على قضايا الاختلاف وعيًا عميقًا ، إن لم يكن مشاركة فعّالة ، في الدعوة إلى التغيير الاجتماعي لمعالجة المظالم التي يوثقونها . وهكذا ، شهدنا توسعًا وتطورًا ملحوظين في دراسات النوع الاجتماعي في جغرافية الثقافة ، بالإضافة إلى ازدهار دراسات الاختلاف التي أجراها جغرافيو الثقافة التي لا تُركّز على النوع الاجتماعي . وبما أن هذه الجغرافيات الثقافية المعاصرة للاختلاف تنحرف عن التركيز المبكر والدائم لهذا المجال الفرعي على النوع الاجتماعي ، فلا بد من حسم مسألة دقيقة بين فهم العالم الاجتماعي بكل تعقيداته المترابطة ، والتركيز على جانب واحد من جوانب الاختلاف فوق كل الجوانب الأخرى ، من أجل إثبات وجهة نظر فكرية أو سياسية . كما قالت روبين لونجهيرست : "في حين أنه من الصعب ، وليس دائمًا استراتيجيًا سياسيًا ، دراسة محاور متعددة للذاتية في آنٍ واحد ، إلا أنه قد يكون مُنيرًا في بعض الحالات" .

في بعض النواحي الرئيسية ، حُققت خطوات مؤسسية ومفاهيمية واسعة النطاق على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية ، وهي تغييرات تعمل على تحقيق رؤية مونك وهانسون لجغرافيا بشرية أكثر شمولاً . أصبح الطلاب غير التقليديين ، وخاصة النساء ، ممثلين بشكل أفضل بين صفوف الجغرافيين ،

وحقق بعضهم مناصب بارزة في الأوساط الأكاديمية والجمعيات الجغرافية الوطنية . أعاد العديد من الباحثين المرموقين النظر في أجنداتهم البحثية و وسّعوها ليكونوا أكثر اهتمامًا بالاختلاف . أصبحت المنهجيات المرتبطة ارتباطًا وثيقًا باستكشاف جوانب الاختلاف في التخصصات الأخرى (وخاصة الأنثروبولوجيا) أكثر انتشارًا بين جغرافيي الثقافة ، وخاصةً الأساليب النوعية مثل المقابلات ، ومجموعات التركيز، وتدوين اليوميات ، واستخلاص الصور . مع ذلك ، ما يزال أمام تخصص الجغرافيا طريق طويل ليصبح مسعىً شاملاً بحق . واليوم ، ينطبق هذا بشكل خاص على إدماج الباحثين غير البيض ضمن صفوف الجغرافيين الممارسين الذين ينشرون ويُدرّسون ويمثلون هذا التخصص أمام المجتمع ككل .